

الرَّسَالَةُ ١٠٧

لا تكن عابساً

(Arabic - Do not look somber)

عزيزى القارئ.. حَدِيثَنَا الْيَوْمَ مَوْضُوعُهُ: لا تكن عابساً.

ومن إنجيل لوقا الأصحاح الرابع والعشرين نقرأ الأعداد من الرابع عشر إلى السادس عشر:

"وكانا يتكلمان بعضهما مع بعض عن جميع هذه الحوادث وفيما هما يتكلمان ويتحاوران اقترب اليهما يسوع نفسه (بعد قيامته) وكان يمشى معهما ولكن أمسكت أعينهما عن معرفته. فقال لهما: ما هذا الكلام الذى تتطارحان به وأنتما ماشيان عابسين!".^١

إذا أرادَ فنانٌ رسمَ لوحةٍ تعبّرُ عنَ الوجوهِ السعيدةِ تراهُ يضعُ بسمَةَ رقيقةٍ مُشرقةٍ على شفاهِ مَنْ يُصوّرُ. وإذا أرادَ رسمَ لوحةٍ تعبّرُ عنَ وجوهٍ بائسةٍ غيرِ مُستبشرةٍ تراهُ يبرزُها عابسةً مُكتنبةً. وكلنا يستبشرُ بالوجهِ المُبتسمِ المُشرخِ. ويتأذى منَ الوجوهِ العابسةِ. وردُّ الفعلِ للخبرِ الطيبِ إذا سمعناهُ أو لمُلاقاةِ أحدِ أحبائنا بعدَ طولِ غيابِ أو لنجاحِ صادفناهُ فى عملِ أنجزناهُ هو ابتسامةٌ عريضةٌ صادقةٌ ترتسمُ على وجوهنا. لأنها تعبّرُ عن سعادتنا كما أنّها تسعدُ أحبائنا. ويختلف الأمرُ إذا سمعنا خبراً مُزعجاً أو إذا فوجئنا بفشلٍ فى عملٍ ما. وكانت آمالنا مُعلقةً على نجاحنا فيه. أو رأينا أحدَ أصدقائنا يُعاني مرضاً. ففي الحالِ تظهرُ العبوسةُ على وجوهنا وتتعبسُ على الآخرين.^٢

والبسمَةُ أو العبوسةُ التى تظهرُ على الوجوهِ غريزةٌ من الغرائزِ التى أوجدها اللهُ فىنا حينَ خلقنا. فهى ليستُ شيئاً نتعلمُهُ. ونحنُ نعبرُ بها عنَ مشاعرِ الغيبةِ والفرحِ والسعادةِ أو الحزنِ والألمِ والانتقاضِ. والرجلُ الحكيمُ هو الذى يتحكمُ فى إظهارِ مشاعرهِ دونَ حدِّشٍ لمشاعرِ الآخرين. قال بولس الرسولُ فى رسالتهِ إلى مؤمنى رومية: "فرحاً معَ الفرحينِ وبُكاءً معَ الباكين". وبسفرِ صموئيلِ الأولِ الأصحاحِ الثانى تسجّلُ لصلاةِ القديسةِ حنةَ تعبّرُ فيها عنَ فرحتها (واتساعِ فمها على أعدائها) وهى تعظمُ الربَّ الذى رزقها بطفلٍ دعتهُ صموئيلُ فلفدُ كانتُ عاقراً. قالت القديسةُ حنة: "فرحَ قلبى بالربِّ. ارتفعَ قرنى بالربِّ. اتسعَ فمى على أعدائى. لأنى قد ابتهجتُ بخلاصِك". وبسفرِ الأمثالِ قال الحكيمُ: "القلبُ الفرحانُ يجعلُ الوجهَ طليقاً وبحزنٍ القلبُ تنسحقُ الروحُ".^٣

وحديثنا اليومُ يدورُ حولَ مُقابلةٍ يُسجلها البشيرُ لوقا للسيدِ المسيحِ بعدَ قيامتهِ منَ القبرِ لتلميذينِ من تلاميذهِ وهما فى طريقهما إلى عمواس. رأهما يتحدثانِ معاً فى حماسٍ عن شخصيهِ المباركِ فقد فوجئنا بخبرِ أذهشهما وهو خبرُ قيامتهِ منَ الأمواتِ. رأهما يسوعُ وقد ارتسمتُ على وجهيهما علامتُ الضيقِ والكآبةِ. لم يعرفاهُ وهو يصطحبهما فى الطريقِ "إذ أمسكتُ أعينهما عن معرفتهِ". وفى لهجةِ عتابٍ رقيقٍ قال لهما: "ما هذا الكلامُ الذى تتطارحان بهِ وانتما ماشيان عابسين؟!". لم يعجبهُ أن يراهما عابسين. كان للربِّ قصدٌ أن يختصهما برفقتهِ لهما.^٤

لقد أوضَحَ تلميذاً عمواسَ للسيدِ المسيحِ مُشكلتهما التى كانا يُعانيانِ منها حينَ أجاباهُ بالقول: "إنَّ بعضَ النسوةِ منا حيرتنا!". إذ كنَّ باكراً عندَ القبرِ ولم يجدنَ جسدَ يسوع. أتينَ قائلاتِ أنهنَّ رأينَ منظرَ ملائكةٍ قالوا: إتهِ حى!". يحدثُ أن بعضَ المؤمنينِ يُشاركونا اختباراتِهِم الروحيةَ وأحياناً لا تطيبُ لنا ونقابلها بارتياحٍ وعدمِ اكتراثٍ. ونظهُرُ أمامهمُ بوجوهِ عابسةٍ غيرِ راضيةٍ. ولا نعلمُ أننا بعدمُ حكمتنا نخسرُ الكثير!. إذ يفوتنا أننا بعدمُ مشاركتِهِم بهجتِهِم وفرحتِهِم برؤى الربِّ وإعلاناتهِ لهمُ نشعرهمُ باحباطٍ. فليتنا نتحلى بالوجهِ السَمحِ الباسمِ ونكونُ سببَ سعادةٍ لإخوتنا وأخواتنا. ويتمجّدُ اسمُ الربِّ الذى هو رجاؤنا وسرَّ سعادتنا. لم تكن تلكَ المرةُ الأولى التى

استمع إلى الإنجيل

^١ إنجيل لوقا ٢٤: ١٤ - ١٦

^٢ سفر الأمثال ٢٥: ٢٥

^٣ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ١٥: ١٢ ، سفر صموئيل الأول ٢: ١ ، سفر الأمثال ١٥: ١٣

^٤ إنجيل لوقا ٢٤: ١٣ - ١٥

فِيهَا يُوجِّهُ الرَّبُّ تَحْذِيرًا لِتَلَامِيذِهِ مِنَ الظُّهُورِ بِوَجْهِ عَابِسٍ. فَفِي مَوْعِظَتِهِ عَلَى الْجَبَلِ قَالَ لَهُمْ وَلِلْجُمُوعِ الَّتِي كَانَتْ تَتَّبَعُهُ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ: "وَمَتَى صُئِمْتُمْ فَلَا تَكُونُوا (عَابِسِينَ) كَالْمُرَائِينَ. فَإِنَّهُمْ يُغَيِّرُونَ وَجُوهَهُمْ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ صَائِمِينَ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُمْ قَدْ اسْتَوْفُوا أَجْرَهُمْ، وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صُئِمْتَ فَادْهِنْ رَأْسَكَ وَاغْسِلْ وَجْهَكَ. لِكَيْ لَا تَظْهَرَ لِلنَّاسِ صَائِمًا. بَلْ لِأَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عَلَانِيَةً".^١

إِنَّ الصَّائِمَ الَّذِي يَحْرُسُ عَلَى الظُّهُورِ أَمَامَ النَّاسِ بِوَجْهِ عَابِسٍ لِيُذْرِكَ النَّاسُ أَنَّهُ يُعَانِي الْمَتَاعِبَ الْمُصَاحِبَةَ لِلصَّوْمِ مِثْلَ التَّعَبِ الْجَسَدِيِّ وَالشَّعُورِ بِالْإِرْهَاقِ. وَهُوَ يَنْتَظِرُ اسْتِحْسَانًا بَشَرِيًّا وَتَمَجِيدًا لِأَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ. فَإِنَّ لَمْ يُذْرِكُوا أَنَّهُ صَائِمٌ سَبَّيْنَتُورٌ مِنْهُمْ سُؤَالًا عَمَّا أَصَابَهُ وَعَنْ سِرِّ عُبُوسَةِ وَجْهِهِ. فَيُجِيبُهُمْ قَائِلًا: "اللَّهُمَّ إِنِّي صَائِمٌ!". فَيُنَالُ مَدْحَهُمْ!. هَلْ نَظُنُّ أَنْ مِثْلَ هَذَا الصَّائِمِ يَنَالُ شَيْئًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ؟! لَقَدْ نَالَ مَا تَمَنَّى مِنَ النَّبَشْرِ بَرِيَّائِهِ وَبِمَظْهَرِهِ الْعَابِسِ!. إِنَّا كَأَوْلَادِ اللَّهِ لَيْسَ مَقْبُولًا مِنَّا أَنْ نَظْهَرَ بِوَجْهِهِ عَابِسَةً. لَقَدْ جَاءَ الْمَسِيحُ لِيَحِلَّ مَشَاكِلَنَا فَلَا تَظْهَرُ عَابِسِينَ. وَبِالتَّأَمُّلِ فِي حَدِيثِ الرَّبِّ يَسُوعَ مَعَ تَلْمِيذِي عُمُوسَ الَّذِي اسْتَأْنَفَهُ بِقَوْلِهِ: "مَا هَذَا الْكَلَامُ الَّذِي تَتَطَارَحَانِ بِهِ وَأَنْتَمَا مَاشِيَانِ عَابِسِينَ؟!". نَسْتَخْلِصُ أَرْبَعَةَ أَسْبَابٍ لِلظُّهُورِ بِالْوَجْهِ الْعَابِسِ وَطَرُقَ الرَّبِّ لِعِلَاجِ الْوَجْهِ الْعَابِسَةِ.^٢

أولاً: جَهْلٌ وَعَدَمُ مَعْرِفَةٍ بِالْمَكْتُوبِ.. كَانَتْ مُشْكَلَةٌ تَلْمِيذِي عُمُوسَ هِيَ جَهْلٌ بِالْمَكْتُوبِ فَقَالَ لَهُمَا: "أَيُّهَا الْغَيِّبَانِ وَالبَطِينَا الْقُلُوبِ فِي الْإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ!. أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ الْمَسِيحُ يَتَأَلَّمُ بِهَذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟!". ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الْأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ". إِنَّ فِي الْمَكْتُوبِ مَا يَمَلَأُ قُلُوبَنَا بِالْإِيمَانِ وَالثِّقَةِ وَاليَقِينِ. وَيَضَعُ بِسْمَةِ مُشْرِقَةٍ عَلَى شِفَاهِنَا. فَهَيَّا بِنَا إِلَى كَلِمَةِ اللَّهِ لِنُحْبِئَهَا فِي قُلُوبِنَا.^٣

ثانياً: إِنَّ اللَّهَ يَرَانَا حِينَ لَا يَرَانَا النَّاسُ.. كَتَبَ لَوْقَا الْبَشِيرِ: "كَانَ يَسُوعُ يَمْشِي مَعَهُمَا وَلَكِنْ أَمْسَكَتْ أَعْيُنُهُمَا عَنْ مَعْرِفَتِهِ". إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِ وَإِنْ لَمْ يَرَهُ بَعِيْنِيهِ. قَدْ يَخْدَعُنَا إِبْلِيسُ بِأَنَّنَا مَتْرُوكِينَ فَنَحْزَنُ وَنَكْتِيبُ وَنَظْهَرَ أَمَامَ النَّاسِ عَابِسِينَ. إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ يَمْشِي مَعَنَا وَإِنْ أَمْسَكَتْ أَعْيُنُنَا عَنْ مَعْرِفَتِهِ هُوَ لَيْسَ بِبَعِيدٍ عَنَّا. وَحِينَ يَرَانَا النَّاسُ مَبْتَسِمِينَ سَيَعْرِفُونَ مَصْدَرَ أَفْرَاحِنَا وَالبِسْمَةَ الَّتِي عَلَى وَجْهِنَا وَسَيَأْتُونَ إِلَيْهِ مُمَجِّدِينَ اسْمَهُ الْعَظِيمِ.^٤

ثالثاً: مِثْلُ الْإِبْنِ الضَّالِّ وَكَيْفَ أَعَادَ أَبُوهُ إِلَيْهِ الْبِسْمَةَ حِينَ رَجَعَ.. إِنَّ قِصَّةَ الْإِبْنِ الضَّالِّ الَّذِي رَجَعَ لِيَقُولَ لِأَبِيهِ: "أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَدَّامَكَ". تَعْطَى رَجَاءً لِكُلِّ مَنْ سَقَطَ فِي الْخَطِيئَةِ. فَلَقَدْ سَارَعَ أَبُوهُ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَةً وَاحِدَةً وَاحْتَوَاهُ بَيْنَ زِرَاعِيهِ فَعَادَتْ الْبِسْمَةَ إِلَى وَجْهِ الْإِبْنِ الْعَابِسِ. إِنَّ الْأَبَ السَّمَاوِيَّ يَفْتَحُ أَحْضَانُ الْمَحَبَّةِ لِيَسْتَقْبَلَ كُلَّ خَاطِيٍّ يَأْتِي إِلَيْهِ بِقَلْبٍ مُنْكَسِرٍ وَاتِّقَاً فِي قُوَّةِ فَاعِلِيَّةِ دَمِ الْمَسِيحِ الْمُطَهَّرِ وَسَيُنَالُ مِنْهُ غَفْرَانًا وَحَيَاةً أَبَدِيَّةً.^٥

رابعاً: يَظُنُّ بَعْضُ الْمَتَدِينِينَ أَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ هِيَ طَرِيقُ الْوُصُولِ إِلَى حَالَةٍ رُوحِيَّةٍ أَفْضَلِ.. إِنَّ هُوَ لَا يُجَاهِدُونَ لِإِصْلَاحِ نَفْسِهِمْ وَلَكِنْ هَيِّبَاتِ!. إِنَّ الرَّبَّ يَقُولُ لَهُمْ مَا قَالَهُ لِنِيقُودِيمُوسَ: "الْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ". إِنَّ اللَّهَ رُوحٌ لِذَلِكَ هُوَ وَحَدَهُ كَفَيْلٌ بِعِلَاجِ أَرْوَاحِنَا. فَلِنَسْلِمُهُ قُلُوبَنَا وَلِنَسْمَحَ لِرُوحِهِ لِيَعْمَلَ فِيْنَا حَتَّى نَثْمَرَ أَعْمَالًا صَالِحَةً. سَنُنَالُ شِفَاءً لِأَرْوَاحِنَا وَمَنْ نَالَ شِفَاءً رُوحِيًّا لَنْ تَفَارِقَ الْبِسْمَةَ شَفْتِيهِ.^٦

عزيرى القارئ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْنَا لِنَشْقِي فِي الْعَالَمِ بَلْ لِنَسْعَدَ بِمَعْرِفَتِهِ وَهُوَ كَفَيْلٌ بِاحْتِيَاجَاتِنَا. فَلَا تَكُنْ عَابِسًا أَيْ لَأَنَّ اللَّهَ مَعَكَ وَهُوَ أَبُوكَ السَّمَاوِيَّ الَّذِي يَعْتَنِي بِكَ. لَا تَكُنْ عَابِسًا وَإِلَّا ضَاعَ أَجْرُكَ. فَلِنَبْتَسِمْ مَعًا. أَدْعُوكَ أَيْ كَيْ تَشْتَرِكَ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيَّ.. قَالَ نَبِيُّكَ دَاوُدُ فِي مَرْمُورِهِ الرَّابِعِ: "جَعَلْتَ سُرُورًا فِي قَلْبِي أَعْظَمَ مِنْ سُرُورِهِمْ إِذْ كَثُرَتْ حِنطَتُهُمْ وَخَمْرُهُمْ". احْفَظْنِي رَبِّي بِالْقُرْبِ مِنْكَ. وَهَبْنِي قُوَّةَ لِأَحْيَا مُحَقَّقًا فَصَدِّكَ.. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ الْبَارِ وَاتِّقَاً فِي وَعْدِكَ الصَّادِقِ يَا مَنْ قُلْتَ: مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرِجُهُ خَارِجًا.

أخي القارئ العزيز.. إِنَّ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرَّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ إنجيل متى ٦: ١٦ - ١٨

^٢ رسالة يوحنا الرسول الأولى ٣: ١٠

^٣ إنجيل متى ٢٢: ٢٩

^٤ سفر المزمير ٩٤: ١٣

^٥ إنجيل لوقا ١٥: ١٨ - ٢٠

^٦ إنجيل يوحنا ٣: ٦ & ٤: ٢٤

، إنجيل مرقس ١٢: ٢٤ ، سفر المزمير ١١٩: ١١ & ١٠٥

رسالة يوحنا الرسول الأولى ١: ٧ - ١٠

، رسالة بولس الرسول إلى مؤمني غلاطية ٥: ٢٢